المشرق

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رتزقال اليسوعي

(التتمة)

فلمّا قرأ اوريليانس جواب زينب على ألركتهِ أرغى وأزبد ثمّ اقسم امام قوّادهِ أن لا بُدّ لي من قمع طغيان هذه المرأة. فامر بمواصلة الحصار واكثر من تحميس جنودهِ حتى اغراهم ببذل نفسهم وحبّب اليهم الموت ولا الرجوع على الاعقاب. الّا ان اصحاب زينب لم يبالوا بمساعيهم وبقوا وراء حصونهم المتينة آمنين وكثيرًا ما كانوا يشرفون على ايراجهم الشاهقة ليستفزّوا الاعداء تارةً بالشتائم وتارةً بقذف الرجوم. وممّا زادهم ثقةً بنفسهم وثباتًا انّ القيصر عينهُ أُصيب بسهم عائر كاد يجرّعهُ حَسَوات المنون. فطامن ذلك من نخوة الرومان واورثهم الفشل. فحاول اوريليانس ثانيةً التلطّف بسلطانة تدمر فكتب اليها كما فعل سابقًا فلم يُجدِ ذلك نفعًا لأنّ زينب ردّت على طلبتهِ قائلةً: لا تسوّم نفسك المحال فاني لم اخسر من جيشي الّا انفارًا قليلين وهم جميعهم من ملّتك (١)

على انّ الله جلّ جلالهُ كان قد قدّر على تدمر ان تسقط يومًا. فبينما كان الرومان يموتون جوًى وعطشًا في تلك البراري القاحلة والرمال الملتهبة اذ حان ميقات نصرتهم على التدمريين. كان اوريليانس قد وجّه الى جميع المدن المجاورة لتدمر حتى الى انحاء لبنان رسلًا يطلبون لهُ المؤونة والميرة اللازمة. فاجاب السوريّون الى دعاء الرسل وكان حقّهم ان يبادروا الى معاضدة مَنْ حلّت ايديها عليهم. فنقلوا الى عساكر اوريليانس اسباب العيش

---

(١) راجع Mai: *Script. Vet. nov. coll.*, II. قد مرّ انّ بعض الكتائب الرومانية كانت في عُهدة ملوك تدمر (ص: ٨٣٦) فتحزّب قسم منها لزينب مدة خروجها مع اوريليانس

الرفيرة (١ . فصار ذلك عدّة لانتعاش شجاعة الرومان وانحطاط قوى التدمريين . ولسوء حظّ زينب أهملها حلفاؤها من الفرس والارمن والعرب فلم يمدّوا اليها يد المساعدة . ولعلّ سبب ذلك ما قالهُ بعض المؤرّخين انّ القيصر ردّ قسماً من هؤلاء الشعوب واستمال القسم الآخر بالالطاف لاسيما قوّاد الفرس لقلّة مهارة الرومان في استخدام القسيّ . فلمّا رأت زينب ذلك علمت ان قد فات كلّ امل فاجتمعت بقوّادها تشاورهم لآخر مرّة . ثمّ تسلّلت في بعض الليالي من عاصمتها فامتطت ناقةً واتّجهت نحو الفرات لتستنجد بملك الفرس (٢ ولم تبرح تركض راحلتها مدّة ليلةٍ ونهار حتى انتهت الى جوار مكانٍ يُعرف اليوم بالدير وهو على ضفّة الفرات قريب من زليبية . وكانت قد ترجّلت عن مطيّتها اذ لاحظت وراءها هبوةً سطعت فحدّقت اليها واذا بفرسان ليسوا من اصحابها فعرفت انهم من الاعداء . فهتفت بصاحب زورقٍ كان هناك تأمرهُ بان يعبر بها النهر . فما اقتربت السفينة وحلّت فيها رجل المكة حتى ادركها الفرسان وانقضّوا عليها وجذبوها الى البرّ ظافرين بغنيمتهم . ثم ركّبوها ناقتها وقفلوا مسرعين الى تدمر وامتثلوا بين ايدي القيصر يقدّمون لهُ سلطانة المشرق مأسورةً

فلمّا رآها اوريليانس اقبل اليها يصيح بصوتٍ عالٍ : صرتِ في قبضتنا يا زينب أفلستِ انتِ التي ادّتْ بكِ الجسارة الى ان تستصغري شأن قيصرٍ رومانيٍّ » . فاجابت : « نعم اني اقرُّ لك الآن بكونك قيصرًا وقد تغلّبتَ عليّ . واما غاليانس وأوريولس وغيرهما فلستُ انظرهم قطّ في سلك القياصرة . واثّا بارتني قيكتورية في السلطنة والعزّ فلولا بُعد الاوطان لعرضتُ عليها ان تشاركني في الملك » . فاثّرت حذاقة زينب في قلب ذلك الجندي الفظّ الطباع وارضاهُ هذا الجواب الملتبق . فنحها الامان رغمًا عن جلبة قوّاده وجنوده الذين كانوا يلحّون عليه طالبين قتلها . لكن زينب المسكينة بقيت في ايدي عدوّها

---

١) فوبيسكوس : الموضع المذكور ٣١

٢) ولعلّ زينب خرجت من عاصمتها باحدى القنى او السراديب العديدة التي تُرى بقاياها الى اليوم تحت اسوار تدمر وقلاعها . (راجع برنُفيل : ص ٩٩ ريجيني ٢ : ٦٢٩) . وعلى ذلك رواية مؤرخي العرب التي اوردناها في افتتاح مقالتنا . واما ما قالهُ جبسون المؤرخ الانكليزي (في تاريخٍ لهُ في هبوط المُلك الروماني) بان زينب بردت همّتُها عند ظهور الخطر واخا التجأت الى الفرار حينما اجتمعت جيوش بروبس عساكر اوريليانس فكلّ ذلك اقوال لا سند لها الّا في مخيّلة المؤلف

مأسورة . فاضمحلّت سلطتها وكُبِتت شمس مجدها وذهبت من يدها اموالها وتحوّل كل ذلك الى حسرة وتأسف ومرارة

وعندئذٍ فشل التدمريون وقنطوا من امرهم ففتحوا للقيصر ابواب مدينتهم الجليلة يلتمسون منهُ الامان (في بدء السنة ٢٧٣)

١٩

وبعد ان اعطى اوريليانس اهل تدمر الامان قبض على جميع كنوز زينب واستصفى اموالها . ثم رجع الى حمص يقود الاسرى للبحث عن امرهم وابراز حكمه فيهم . قال زوزيموس : « فاستحضر القيصر سلطانة تدمر واشياعها فلمّا مثلت بين يديهِ جعلت تعتذر اليهِ وتتنصّل وتدافع عن نفسها مدافعة الداهية حتى برّأت كثيرين من اصحابها بانهم اضلّوها بسوء نصائحهم وورّطوها في الغرور . وكان من جملة الذين رشت بهم عند القيصر لنجينوس . . . . فحكم عليهِ القيصر من ساعتهِ بالموت بعد ان مثّل بهِ . فكابد لنجينوس العتاب بشجاعة وصبر جميل حتى انهُ عند وفاتهِ كان يعزّي اصدقاءهُ واقاربهُ . وكذلك نُكّل بكل من تجرّأت زينب عليهم » (١

هذا ما زعم زوزيموس . على ان في الامر لنظرًا . لعمري كيف يقبل العقل انّ زينب التي طالما جالست ذلك العالم الشهير تستنصحهُ وتشاورهُ في اغمض اسرار سياستها تغيّرت عمّا كانت عليهِ من المودّة والاكرام حتى تجنّت عليه ورمتهُ في لهوات الموت . وقد روى ڤوپيسكوس المؤرّخ انّ لنجينوس قُتل مع جميع الذين حملوا التدمريين على محاربة الرومان . فان سلّمنا بصحة هذا القول لا نرى من حاجةٍ ان ننسب الى زينب عدم الوفاء لأنصارها وحميم اصدقائها ونحن نعرف ما طُبع عليهِ اوريليانس من خُشنة الطباع وفظاظة الاخلاق وقلّة اكتراثهِ للعلم والادب . ولا جرم انّ ما زادهُ حنقًا على مؤلّف كتاب الاينال الشهير ظنّهُ بانّهُ هو الذي املى على زينب الرسالة الاولى التي اوردناها آنفًا (٢

---

١) زوزيموس ١ . وسويداس بردي مثل رواية زوزيموس

٢) قد وهم اوريليانس بظنّهِ هذا لانهُ من المقرّر (ڤوپيسكوس ٢٧) ان محرّر تلك الرسالة انما هو تيكوماخوس (راجع ص ٩٢٣) لا لنجينوس . وقد ترجمها الى اليونانيّة بعد ان صنّفتها زينب باللغة الآراميّة . وفي هذا دليل آخر على ان زينب لم تَسْعَ بجليلها . وزعم المسيو رَيت (ص ١٦٢) ان اوريليانس امر بقتل لنجينوس لانهُ اتّخذ اسم كاسيوس قاتل يوليوس قيصر او اسم اڤيديوس كاسيوس الذي خرج سنة ١٧٢ على القيصر مركوس اوريليوس فمد ذلك اماتةً لشأن

واما زينب فلم يحكم عليها اوريليانس بالموت فراراً من ملامة تلحقهُ اذا امر بقتل امرأة او بالاحرى بغيةً منهُ ان يجاور سلطانهُ المشرق الى رومة ليعانيها الرومان ويزيد بذلك حفلة دخولهِ للعاصمة رونقاً وابهةً (١ . وعليهِ فانهُ كتب الى مجمع الشيوخ يعلمهم بابقائهِ على زينب جزاء لما ابدت سابقاً من الخدم للدولة الرومانية ومدافعتها عن الاقطار الشرقية قاطبةً (٢ . فغادرت زينب مع عيالها تلك البلاد العزيزة التي ارتقت باعتنائها الى اوج العمران والتقدم وسارت بصحبة الاسرى التدمريين تتعقب القيصر الروماني الى عاصمتهِ بطريق آسية الصغرى

وكأني بتدمر قد قُضي عليها ان تسقط بسقوط سلطانتها . فان اوريليانس كان قد عبر البسفور حيث أغرق عدة من اصحاب زينب وشرع يحارب بعض البرابرة في انحاء ثراقية اذ اتاهُ نبأ خروج التدمريين . وذلك انَّ القيصر عند مغادرتهِ للاقاليم الشرقية كان قد ولّى على تدمر احد ضباطهِ يقال لهُ سودارين وعيَّن لهُ ٦٠٠ جندي لحراسة المدينة . فاستقلَّ التدمريون عددهم واستثقلوا وطأتهم وحاولوا الاستبداد . ثم ارسلوا بعد ذلك بعدة وجيزة الى مركلينوس والي الشام يعرضون عليهِ المُلك . فتظاهر مركلينوس بالاجابة الى دعائهم لكنهُ وجَّه سرًّا الى القيصر رسولاً يخبرهُ بدسائس التدمريين . ثمَّ لم يزل يماطلهم بالوعد حتى أيسوا من قبولهِ فاختاروا لهم ملكاً آخر من قرابة زينب اسمهُ انطيوخوس (٣ . على ان هذا الرجل كان صفرًا من الصفات الملكية والقوة السياسية فاظهر من الغفلة والخرق ما ادّى برعيتهِ الى التهلكة . وفي اثناء ذلك بلغ اوريليانس خبر عصيان التدمريين فترك البرابرة وشأنهم وقفل راجعاً الى الشام على جناح السرعة وكاد ينتهي الى سورية قبل ان يشعر التدمريون بقدومهِ . فزحف الى مدينتهم وحبي انطيوخوس واصحابهُ وافتتح تدمر عنوة (٢٧٣) واعمل في اهلها السيف أياماً متوالية حتى كلّت ايدي جنوده من القتل والذبح . ثم امر فنُقلت الابنية وقوّضت الهياكل ودُكّت الاسوار وهُدمت القلاع . فاصبحت تلك المدينة البهيّة قاعاً صفصفاً ضرب عليها الخراب اطنابهُ وانعق الدهرُ فيها غرابهُ

القياصرة . الّا اننا لا نرى في ذلك برهاناً كافياً

١) ڤوبيسكوس ٢) تربيليوس Trig. Tyr. 29

٣) راجع ڤوبيسكوس (سيرة اوريليانس ٣١) وزوزيموس ١ : ٦٠ و ٦١ و W : n° 3629 و Mommsen : V. p. 441

وبعد ان تشفّى اوريليانس من غيظه واثأر من اعدائه تقدّم الى جيوشه بالرجوع الى رومة للقيام بعيد انتصاره (١ . الّا انّ الاحوال اضطرّته قبل ذلك الى مقاومة تتريقوس والخوارج في غالية . فلمّا فرغ من قمعهم عاد الى ايطالية مظفّرًا منصورًا . فاحتُفل بدخوله الى رومة احتفالًا لم يسبقهُ من مثيل . قال المؤرّخون انّهُ كان يتقدّم موكبهُ عشرون فيلًا وعدّة وحوش داجنة من بلاد مصر وفلسطين تتبعها انمارٌ وزرافات وبايائل ثم يليها ١٦٠٠ مُصارع وعددٌ غفير ممّن اتوا الى القيصر من بلاد شتّى ليهنئوه بالظفر كالجرمان والعرب والفرس حتى اهل الهند والصين (٢ . وكانت تجري وراء تلك الجوقة اربع عجلات سلطانية الاولى عجلة أذينة زوج زينب وهي مزيّنة بالذهب والجواهر . والثانية العجلة التي اهداها هرمز بن شابور الى القيصر تذكارًا لفتحه تدمر . والثالثة عجلة زينب التي اعدّتها لتدخل فوقها عاصمة الرومان . لكن ملكة تدمر المسكينة لم تكن على عجلتها بل كانت تسير وراء العجلة الرابعة التي تقلّ القيصر الظافر . وبصحبتها احد ابنائها (وقيل كلاهما) وبعض رعاياها وتتريقوس الخارجي . وكانت ابصار الجموع الكثيفة المحتشدة لرؤية هذا التطواف المذهل متفرّسةً في ملكة تدمر دون غيرها . وهي تجري وسط الموكب واسعةً ومزيّنة بكل الاحجار الكريمة التي كانت تتحلّى بها فيما مضى من حياتها وفي عنقها طوق من الذهب الخالص وفي يديها اسوار ثمينة فناءت هذه الحلي بزينب وأثقلتها حتى انّها اضطرّت مرارًا الى ان تتوقّف عن المسير وتستروح الهواء . ولمّا لمح احد الحضور وكان عجمًا فارسيًا يُضحك الناس انّها كادت تسقط فيُغشى عليها ساعدها في حمل الحلقة الذهبية التي طُوّقت بها (٣

ولمّا تمّ هذا الاحتفال الفاخر عيّن اوريليانس لملكة تدمر مصيفًا جميلًا في تيبور بالقرب من مصيف ادريانس . وعُرف هذا المكان بمصيف زينب في القرون التالية . ولكن هيهات ان تكون هذه المنازه لترضي السلطانة المعزولة وهي تستذكر الاوطان وتلك المناصة التي افرغت جلّ مجهودها لتكسوها فخرًا وتلك الجموع والجحافل التي طالما قادتها الى

---

١) وروى بعض المؤرخين الاقدمين ان المصريين خرجوا ايضًا في تلك الاثناء وملّكوا عليهم فيرموس صديق زينب فبادر اوريليانس الى قهرهم قبل رجوعه الى اوربة . فجبى الخوارج بتةً واباد شملهم وقبض على ملكهم وشلّ يده (راجع زوزيموس وفوبيسكوس وغيرهما و (Mommsen : V. p. 441

٢) (راجع رينو J. A. 1863, p. 388 . وكان في جملة العرب بعض الاسارى من بني سليح الذين تحزّبوا لزينب حين محاربتها للرومان ٣) راجع شاهاني ص ٢-١٣١

الحروب والغزوات . فليت شعري كيف انخسف نور ذلك النجم الساطع . وانطفأ ضوء ذلك الكوكب اللامع . الذي اشرق على المشرق وبهر حتى اهل المغرب ؟ وحياة الحق لجاز لنا ان نهتف مع اشعيا النبي (٤٧ : ٥) : « اقعدي صامتة وادخلي في الظلام يا بنت الكلدانيين فانك لا تُدعَين سيدة الممالك من بعد »

فاعتزلت زينب مع عائلتها في مصيف قيور وعاشت فيه دهرًا طويلًا منقطعة الى تهذيب اولادها (١ . قال قدماء المؤرخين انها زوَّجت بناتها باعيان من الرومان (٢ وانَّ ذريتها استمرت حتى القرن الرابع للمسيح (٣ . واضاف بعضهم ان القديس زينوبيوس اسقف مدينة فلورنسة ومعاصر القديس امبروسيوس كان من نسلها ايضًا (٤

وهنا مسألة : هل ماتت زينب مسيحية ؟ نجيب انَّ ذلك امر دافع عن صحَّته الكردينال بارونيوس المؤرخ الكنسي الشهير واثبتهُ بادلة (٥ لا يسع لنا ضيق المكان ان نسردها هنا . رجلٌ ما نحبّ ان يلاحظهُ القارئ اللبيب ان قولنا السابق عن نصرانية ملكة تدمر يؤيد هذا الرأي تأييدًا قويًا

٢٠

واما تدمر فعبث بها الدهر كسلطانتها العزيزة . فبعد ان هدمها اوريليانس بقيت الى عهد ديوكليتيانس قرية صغيرة (φρούριον) استخدمها الرومان لردّ غزوات اهل البر (٦ .

---

١) زعم بعض الرواة (منهم دوبل ص : ١٧٣) ان زينب حرضاً في البقاء والاطمئنان تظاهرت بالاجابة الى التماس بعض الشيوخ الخوارج الذين عرضوا عليها ان يملكوها على الرومان بعد عزلهم لاوريليانس واتَّما وشت جسم الى القيصر فاذاقهم مرَّ النكال . على اننا كنَّا نودّ ان يسند هؤلاء الكتبة زعمهم الى رواية مؤرخ قديم

٢) راجع تربيليوس *Trig. Tyr.* 20 وزوناراس ١٢ : ٢٧ . واما ابنا زينب فقال بعضهم انَّهما ماتا في اثناء الاحتفال بنصرة اوريليانس . وروى تربيليوس بعكس ذلك انَّ ثم الله ترعرع وصار بعدئذٍ خطيبًا لاتينيًا مصقعًا . والله اعلم

٣) راجع تربيليوس (*Trig. Tyr.*, 20) . والقديس ابروسيوس في تاريخ مشاهير الرجال واوتروبيوس (Brev. IX, 13)

٤) راجع بارونيوس التواريخ الكنسية سنة ٢٧٦ . وتلمون : تاريخ القياصرة ٣ : ٥٣٣ والقديس ابروسيوس في مجموع سنة ٥١ : ٥٧١

٥) (راجع Terzi : *Siria Sacra* (1695) : p. 129

٦) (راجع Steph. Byzan. s. v. وريكندورف Z D M G : 1888, p. 391

ويُخبر عن ديوكليتيانس قيصر انهُ سعى وراء ترميمها فابتنى فيها بعض الابنيـة (١ . وتتبع ايضاً هناك النصارى واضطهدهم كما فعل في سائر الاقاليم . ففي نفس السنة التي انتصر قسطنطين على العالم الوثني (٣١١) فاز باكليل الاستشهاد كل من القديسات لبية واختها لاونيدة واوروبية وهي ابنة اثنتي عشرة سنة من اشرف عيال تدمر (٢

وفي ايام تاردوسيوس الصغير (٤٠٨ — ٤٥٠) عُيّن لحراسة تدمر فرقة من الجند . وكانت قبل ذلك بقليل قد عُدّت مقاطعة تابعة لولاية فينيقية لبنان التي كان مركزها مدينة حمص . وذكر لوكيان في الشرق المسيحي بعض الاساقفة الذين ساسوا كنيسة تدمر منهم مارينوس الذي حضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ويوحنا الاول (٤٥٧) ويوحنا الثاني الذي اشتهر في عهد انستاس القيصر (٤٩١ — ٥١٨) . ونفي على عهد خلفه يوسطينوس لمدافعته عن المجمع الخلقيدوني وقوله بطبيعتين في المسيح (سنة ٥١٨)

ولما تبوأ يوسطينيانس تخت السلطنة سنة ٥٢٧ عهد الى بعض وزرائه ان يُعيد تدمر الى ما كانت عليه من العزّ والبهاء . وامدّهُ لذلك بالاموال الطائلة . فباشر الوزير هـذا العمل الجليل بنشاط عظيم وجدّد بناء الاخربة وشيّد ابنية اخرى وجمع مياه الانهار والجداول التي كانت تغور في الرمال باطلاً وأحدق المدينـة بسور لم يطمس الدهرُ آثارَها حتى يومنا (٣

وكان ملوك غسّان قد اتخذوا بقعة تدمر فاختار بعضهم تلك المدينة كمنزل جعل فيه سكناهُ (٤ . ولم تزل تدمر على تلك الحال الى ان فتحها المسلمون سنة ٦٣٩ . قال

---

١) (راجع Mordtmann : *Neue Beiträge z. G. Palmyre.* p. 80)

٢) لوكيان المشرق المسيحي ٣ : ٨٠٥ وترزي الكتاب المذكور ص : ١٢٩ والبولنديُّون في اعمال القديسة فيروزية . ومن غريب الامر ان مؤلفين كالسيو مرقان (ص : ٨١ في كتابه الآنف الذكر) ومورونى Moroni *art.* Palmira يستنتجون من خبر استشهاد تلك القديسات الثلاث ان النصرانيّة لم تظهر في تدمر الّا في القرن الرابع

٣) (راجع Procop. : *Edific.* II, 11 و Lebeau : *Hist. du Bas-Emp.*, IX, p. 45 وملالا ٢ : ١٥٢ وثيوفان : ٢٦٧ . وعلى راي نولديك (ZDMG : 1885 p. 336) اذا حفرت ارض تدمر ربما وُجدت فيها من كتابات عديدة تنبئنا بما نجهلهُ من اخبار ذلك الزمان

٤) راجع نولديك : Duchesne : *Eglises* و *Die Ghassânischen Fürsten, p.* 14,47 *séparées*, p. 338 - 40

اليعقوبي في تاريخه (طبعة ليدن ٢ : ١٥١) : « مرّ خالد (بن وليد) بتدمر فتحصّن اهلها فاحاط بهم ففتحوا لهُ وصالحهم ثم مضى الى حوران ». ولم تزل تدمر منذ الفتح الاسلامي تنتقل من دولة الى اخرى حتى ايامنا هذه (١

وفي السنة ١٠٨٩ طرأ عليها زلزال هائل نسف عدّة ابنية نسفًا. وقد مرّ بنا ان الرباني بنيامين التوديلي زار تدمر في القرن الثاني عشر فوجد فيها مستعمرة يهودية كبيرة. وتبعهُ اليها كثير من مشاهير العلماء والزوّار لاسيما من العرب نخصّ منهم بالذكر المتنبي واليعقوبي والمقدسي وياقوت وابن بطوطة وابو الفداء. وكان املنا ان نجد في تآليفهم ما يزيدنا معرفة باحوال تدمر وتواريخها فما وقفنا فيها على غير اقاصيص وحكايات لا طائل تحتها

ولمّا استولى السلطان سليم الاوّل على بلاد الشام في اوائل القرن السادس عشر للمسيح لم يرَ في تدمر الّا بعض الاكواخ بجانب الاخربة العتيقة

وفي اواسط القرن السابع عشر زارها اولًا احد ادباء فرنسة اسمهُ كرنجر (Granger) وقد اعتنى منذ اشهر العلّامة الاب شابو بنشر اخبار سفرهِ (٢ . ثم وليهُ بعض تجّار من الانكليز القاطنين في حلب (سنة ١٦٧٨) فهجم عليهم اهل البادية وردّوهم خائبين. لكنّهم ثبتوا على عزمهم فرحلوا ثانيةً الى تدمر وتمكّنوا من مشاهدة آثارها المذهلة. وعند رجوعهم كتب احدهم يدعى هاليفكس قصّة رحلتهم وطبعها في لندن (سنة ١٦٩٥). ولمّا شكّ العلماء بصدق هذه الرواية يتمّم تدمر السيّدان دوكنس ورود واقاما فيها مدّة طويلة فصوّرا اخربتها تصويرًا بديعًا اخذنا من تآليفهما بعض الصور. لكنّ دوكنس ورود لم يستنسخا سوى ١٣ كتابةً تدمريّة. فلم يكن من ثمّ في مثل هذا العدد الوجيز كفاية لتوسيع نطاق تواريخ تدمر. وبعد رحلتهم بقرن كامل عزم المركيز دي ڤوگويه على معاينة اخربتها فتجشّم هذا السفر البعيد سنة ١٨٦٤ وجمع في عاصمة زينب كتابات عديدة الّف بها ذلك المجموع الرفيع القدر الذي اصبح نقطة علمية يرجع اليها كلّ ما جرى بعدئذٍ من الابحاث الخطيرة والاكتشافات الاثيرة وهو خليق باعتبار كلّ من لهُ بعض المام في اخبار المشرق وقديم عزّهِ وعنهُ اقتبسنا كثيرًا من الفوائد التي ذكرناها. لكنّ ارض تدمر ستبعث

---

١) من اراد تفاصيل تاريخ تدمر ايام الاسلام طيّ بمراجعة كتاب المستر فريم (Grimme) عنوانهُ : *Palmyrae sive Tadmur urbis fata quae fuerint temp. Muslem.*, Münster., 1886

٢) راجع J. A. 1897², p. 337

لنا الوفا من الكتابات والآثار اذا ما حُفرت بنظام ومواصلة السعي (١ ». هذا ما قالهُ العلّامة كارمون غانو فكفى بهِ اشارة ونصيحة لاهل الغيرة والنشاط ولمحبي العلم والوطن.

خاتمة

وفي الختام نلتمس من قرّائنا الكرام. ان يعودوا معنا بالنظر الى ما كانت عليهِ تدمر في عهد امرائها العظام. من العزّ والعمران. وما صارت اليهِ بعدئذٍ من الذلّ والهوان. فنرى ما سبب هذا التقهقر الرشيك والانحطاط هذه المفاخر. فانَّ في ذلك لعبرة لكل ذوي البصائر. فنقول:

ان سقوط تدمر لا يُعلَّل بعلّة اخرى غير طمع اهلها لاسيَّما ملكتهم زينب بالسيادة ورفعة الشأن وقد قيل من رفع نفسهُ عن حدّ وضعهُ الناس دون قدرهِ. فكان الله عزّ وجلَّ خصّ زينب بالمنصب الرفيع بين الرومان والفرس لحراسة حدود المملكتين فاحرزت بذلك قصب السبق على اعظم ملكات المسكونة وكما قال بوسويت « انتشر صيتها في الخافقين لكونها قرنت العفّة بالجمال والعلم بالسطوة » فاحتسبت نفسها قديرة على جمع ملك المشرق والمغرب وطمعت في ما جلب الدمار على ملكها وادخل عاصمتها في خبر كان. وكذلك اهل تدمر لمّا كانوا تجارًا شأنهم السفر الى الاقطار الشاسعة لاستجلاب خيرات الهند والعرب ونقلها الى ممالك الرومان فاعمى بصرهم نجاحهم وتقدّمهم في سبل العمران فتكبّروا وتجبّروا ونزعوا عنهم لباس السفر ليجلسوا على منصّة الملك ويضبطوا عنان السياسة والتدبير. فقلب لهم الدهر ظهر المجن بعد زمن يسير. وأطفأ الله سراجهم المنير. ولمّا خرجوا على رومة لم يجدوا لهم من مستجار او مجير. فباد شرفهم الخطير. وهبط اسمهم الرفيع الاثير. وما البقاء الّا للواحد الصمد القدير. لهُ العزّ والسلطان فيرفع الحقير. ويكسر من زهو الكبير. سبحانهُ وتعالى فهو ربُّنا ونعم النصير

(١ (J. A. 1862 p. 123). ومنذ ثلاث سنين قد ارسل الى تدمر المهندس برتون احد تلامذة المدرسة التي اقامتها الحكومة الفرنسيَّة في رومة للبحث عن الابنية القديمة عمومًا. وكان غرض هذا الشاب العالم التفتيش عن جميع اخربة تدمر حتى يتمكّن من رسم بناء هيكل الشمس وتصويرهِ بدقّة ففي اثناء شغلهِ عثر على بعض كتابات جديدة سلّمها للاب شابو المارّ الذكر فقرأها وباشر نشرها في السنة الجارية تباعًا في المجلّة الاسيويَّة. ومثل المسيو برتون اكتشف الدكتوران موريتس مناظر المكتبة الحديريَّة والدكتور الاب لويس موسيل تريل كليتنا سابقًا كتابات تدمرية جديدة طُبعت في المانية وفيانة